سلسلة: علماء الإسلام وملحمتهم التقويمية عبر التاريخ

مقدمات نحو صياغة أنموذج منظوري إرشادي إسلامي عام في الفقه والعلوم

3)صناعة الفقه: التقويمية الأصولية الشافعية

الحلقة الرابعة

3) كيف نشأة علم الكلام وامتزج بأصول الفقه؟

بما أن الإسلام هو في نفس الآن: دين، ودولة، ودعوة، فللدعوة أسبقية وجودية ضمن هذه التراتبية.

وقد تحددت منهجية تبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين، بنص قرآني قطعي الدَّلالة، بخصوص مواصفات المبلِّغ، حامل الدعوة والأسوة التي يجب أن يتأسى بها في قولـــه: تَعَـالَىٰ:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢٥

ولئن ترك القرآن للداعية اختيار الشكل، والقالب الذي يـــصوغ فيـــه مضمون رســـالة الدعوة، بحسب اجتهاده، وظرفه، وزمانه، ومكانه، إلا أنه أطره بإطار صارم لا يمكنـــه أن يخرج عنه بحال، من حيث المنهج والأسلوب.

وتحدد المنهج أيضاً بنص قطعي الورود والدلالة في قوله تَعَـالَىٰ:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥

قلت:

ويؤسس هذان النصان لقاعدتين أساسيتين في السلوك والدعوة، والتأطير في الظروف العادية.

وللاستثناء، خروجاً على موجبات القاعدتين أعلاه، حظه ومجاله الخاص من التطبيق، متى استدعتهما الظروف، كما يفهم من الآية 73 من سورة التوبة[1]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ التوبة: ٧٣

وقد أوضح القرآن الكريم أن الدعوة والتبليغ، وإن كانا من فروض الكفاية في حق المسلم، إلا أنهما لا يُثمران بدون وجود نخبة متخصصة ومؤهلة لتأدية هذا الدور بالذات، كما يستشف من قوله تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ التوبة: ١٢٢

وواضح أن النّفرَة الدعوية المتفقهة في الدين، لا تكون سوى ضمن جماعة، سواء أكانت لهذه الجماعة دولة قائمة أم كانت في طور النشأة والتكوين، بحيث ما أن يتم وعي الجماعة بذاتها، وبدورها، وبرسالتها المنوطة شرعاً بها، حتى تنتقل مباشرة بفكرها من طور الانتظار والترقب إلى طور تجسيد الدولة على الأرض.

[1] والآية 9 من سورة التحريم.

فقيام "الجماعة"، تمثل ضمن هذا السياق، الخطوة الأساسية الأولى على درب قيام صرح "الدولة"، حيث أن للدولة وحدها، بمقوماتها ومحدداتها الشرعية، القدرة على إقامة شرع الله، غير منقوص بين أفراد الجماعة، مثل:

أ) الحفاظ على الدين،
ب) والحكم بما أنزل الله قدر المستطاع،
ت) والأخوة في المعاملات،
ث) والعدل في الأحكام،
ج) والشورى في كل أمر ذي بال،
ح) والتقوى في كل ممارسة،...إلخ.

ضمن رابطة أخوية واجتماعية تلقائية يتساوى أفرادها جميعاً في الحقوق والواجبات كما حددتها وأوجبتها النصوص القاعية المستفيضة، كما في الآية 10 من سورة الحجرات:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠

والآية 11 من سورة التوبة:

﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ التوبة: ١١

وبديهي أن قيام مثل هذه الأخوة بين أفراد الجماعة، ليست من المسلمات، كما قد يتبادر لأول وهلة، ما دامت مثل هذه "الأخوة" لم تتجسد في الرعيل الأول، سوى بمعجزة، وبتدخل من السماء، كما نبه على ذلك القرآن الكريم:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

قلت:

ولا يخفى أن الحكمة من وراء هذا الامتنان على المؤمنين هو قيام "**الأمة المشروع**"، **المتجددة دوماً في الوجود:**

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٤

فهي دائماً وأبداً، **أمة** في طور التكوين والتشكُّل الأنف، على غير سابق عهد، بعد أن كانت وأصبح إطارها القديم متجاوزاً، بفعل الصيرورة القاهرة لبرنامج الخلق، المتفتق بالخلائق الجديدة، والذي هو كل يوم في شان، لتؤسس لنفسها صرحاً دولتياً يناسبها ويناسب ظرفها وزمانها، لا شيء ثابت فيه سوى القيم، و**نبذ كل العصبيات**، التي يعدها الإسلام من **مخلفات الجاهلية الأولى**، والتي يحكمها التوسع المستمر، لتشمل البشرية قاطبة تحت مظلتها.

ولنا شاهد قوي على هذه الصيرورة التاريخية من خلال فعل **الرسول** ﷺ ، الأسوة، حيث أن أول ما قام به ﷺ، بمجرد أن حل مهاجراً ب "**يثرب**" (المدينة)، هو أن آخى بين **المهاجرين** و**الأنصار**.

وما أن استقر به المكان ﷺ، حتى استتبع ذلك بتوسيع دائرة الانتماء إلى الأمة في ميثاق المدينة ليشمل المخالف في الدين، وذلك حين تعاقد مع يهود المدينة ليُكَوِّنوا مع المسلمين نوية لأمة واحدة فيما يشبه المواطنة بالمعنى السياسي والاجتماعي الحديث، الكافل لحق المخالف في الاختلاف، مادام يعد طرفاً أساسيا مشاركاً في العقد، وليس مِن باب "المنة" عليه من طرف المتغلب يومها وهم المسلمون.

ثم مد الرسول ﷺ مظلة هذا الميثاق لينضوي تحتها نصارى نجران في نداء مفتوح، حددته الآية 64 من سورة آل عمران:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤

ولا شك أن لو استجاب هذان الفريقان من أهل الكتاب لما دعاهم القرآن إليه يومها، لتأسست أول دولة توحيدية، ضمن الإرث الإبراهيمي حملت اسم: "الأمة" الموسع.

3.1. السياسة وأصول الحكم

وكان طبيعياً، بحكم انتشار الإسلام وانضواء الكثير من شعوب المعمورة تحت لواء مظلته السياسية العالمية، أن تنتقل الدولة من طور عصبية القبيلة وطور طائفية المعتقد، إلى طور عصبية الأمة المؤسساتية، المتعايشة مع كل مكوناتها المختلفة وحتى المتنافرة، ضمن الأخوة الإنسانية العامة، الناشدة للعدل المطلق وحرية الاعتقاد وحق الاختلاف، حتى أمكن القول وبدون خلف، بأن المبرر الأول والأخير ل قيام الدولة

الإسلامية المشروع هو قدرتها الفائقة على إدارة الخلاف بين البشر بطريـــق التراضي والتوافق وعدم الإكراه.

وهو مطلب تعطّل سياسياً في البدايـــة، لعـــدم نـــضج الطرف اليهودي والطرف المسيحي الحاضران إبان نزول القرآن، متحملين لتبعات نكوصهم، التي كانت حبلى بنُذر شؤم وفواجع وأهوال ونقائض ستقضُّ مضاجع الإبراهيميين لقرون وقرون، ليستعيض المسلمين، والقوة إلى جانبهم، بمنطق فرض هيمنتهم، بعد أن لم تفلـــح الـــدعوة إلـــى الكلمة السواء، في أن تبوءهم مكانة النظير الذي يستشار، التي كانوا يستحقونها شرعاً وعرفاً.

والرزية كل الرزية، هي أن المسلمين أنفسهم، ولأسباب داخلية، لن يسلموا من عوامل التصدع والانشطار والتحزب، التي حملت لهم فواجع ومآسي لا أول لها ولا آخر:

فقد فُجِع المسلمون أول ما فجعوا بشرخ تصدُّعي على الصعيد السياسي كمقدمة لشروخ وتصدعات لاحقة ستمتد آثارها إلى كل الحقول الاجتماعية الأخرى، بما حصل في الفتنة الكبرى باستشهاد الخليفة الثاني عثمان بن عفان سنة 35 هـــ، وما تبع ذلك من اقتتال بـــين الخليفـــة الشرعي علي بن أبي طالب والخارجين عليه.

ثم جاءت على إثرها، ونتيجة لها، حروب الجمل سنة 36 هـــ، وصفين سنة 37 هـــــ، والنهروان سنة 38 هـــ، ليجد المسلمون أنفسهم، ولأول مرة، منذ انبثاق فجر الدعوة، فريقان، يوجه كل منهما سيوفه وحرابه إلى نحور وصدور الفريق الآخر مـــن المـــؤمنين إمـــا متأولين مجتهدين أو بغاة أصحاب أغراض وحرابة.

ثم تتابعت الشروخ يقبض بعضها بتلابيب بعض، إما كسبب أو كنتيجة.

فجاء الشرخ الثاني، عندما قبل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بوقف القتال مع أهم الخارجين عليه وهم فريق معاوية بن أبي سفيان وقبول التحكيم لأجل حقن دماء المسلمين، الشيء الذي أغاض فريقاً من أنصاره، ورأوا واجب تنزيل آية حرب البغاة:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ ﴾ الحجرات: ٩

على ما تتنزل عليه حرفياً، بحسب ظاهر الآية أي: "الحرب والقتال" إلى أن تفيء الفئة الباغية إلى حكم الخليفة الشرعي.

وحصل الشرخ الثالث عندما تجرأ الخارجون على علي من أصحابه، على القول بتكفيره ومن معه ثم باقي المسلمين الذين لم يسايروهم في منحاهم هذا. وهو شرخ ظلّت قرقعة سلاحه تدوي لقرون في وجدان المسلمين.

ثم جاء الشرخ الرابع، بما استحدثة معاوية بن أبي سفيان، بنقل الحكم في الإسلام من خلافة شورية إلى ملك هرقلي عضوض ليأتى على البقية الباقية من أسس شرعية الحكم في الإسلام.

ثم جاء شرخ خامس باستشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء أيام يزيد بن معاوية...، لتتوالى الفواجع بعد ذلك تترا.

قلت:

والحقيقة التي تتخرج مخرج البداهة، هي أن الإسلام، في وعي المسلمين، ومن خلال ما يقرءون من نصوص القرآن المحكمة، لم يأت ليستعيد أمجاد الإمبراطوريات الغابرة ولا من أجل تكرار نماذجها البئيسة في التاريخ كحكم، وإنما جاء ليقلب المجتمع رأساً على عقب، وليستبدل أساليب ونظم الحكم التي ألفتها المنطقة، سواء في إخراجها الفرعوني، أو الكلداني، أو الإغريقي، أو البيزنطي، أو الساساني، التي ترفع الحكام إما إلى مقام الآلهة المعبودين، أو الطغاة المستبدين العالين في الأرض، إلى حكم من نمط جديد أساسه طهارة المجتمع المتآخي في الاختلاف الذي لا يفسد للود الاجتماعي ولا للتوافق السياسي قضية.

وهو ما لم يَخف على الصحابة، وإن صارت الأمور على غير ما تمنى أنصحهم للمسلمين يومها.

ذلك، أنه عندما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يضمن البيعة لابنه يزيد، من طرف خيرة شباب الإسلام يومها:

- الحسين بن علي بن أبي طالب،
- وعبد الله بن عمر بن الخطاب،
- وعبد الله بن الزبير بن العوام،
- وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق،

خارجاً عن سنة الخلفاء الراشدين قبله، واجهه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بقوله:

{ولكنكم تريدون أن تجعلوها "هرقلية"، كلما مات هرقل قام هرقل}

خصوصاً وأن حال يزيد من المجون والتهتك وقلة المعرفة الدينية، كان يصعب التغطية على مساوئه بغربال، حتى أنه عندما كاتب معاوية بن أبي سفيان واليه على البصرة، وهو أخاه من أبيه: زياد بن أبيه في شأن البيعة ليزيد، كتب له الأخير يقول[2]:

يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد علي بكذا، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبسُ المُصَبَّغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر!، ولكن تأمره ويتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً أو حولين، فعسينا أن نموِّه على الناس!!

قلت:

وهل كان بالإمكان التمويه على أمثال هؤلاء في شأن يزيد؟

وسيحاول الأمويون لاحقاً تصوير هذا الواقع وكأنه قدر مقدور وجبر لا خيار للأمة فيه، مما دعا بالمخالفين إلى الخروج عليهم كأئمة جور وقهر، مع ما تبع ذلك من فتن وفواجع.

وقد نبه عبد الله بن عمر معاوية بن أبي سفيان على هذه الأثرة التي يوليها لابنه يزيد على خلاف سابقيه، بالرغم من عدم صلاحية ابنه لهذا الأمر، حين قال له يوم حج في صحبة ألف رجل، سنة إحدى وخمسين من الهجرة وأراد إرغامه وصحبه الثلاثة: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر على البيعة بقوله[3]:

---

[2] أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير باليعقوبي (ت: 284 هـ) في: "تاريخ اليعقوبي" (2: 220)، دار بيروت، طبعة 1401 هـ/ 1980 م

[3] تاريخ خليفة بن خياط، ص. 213 – 214.

فإنه قد كانت قبلك خلفاء، لهم أبناء، ليس ابنك بخير من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت أنت في ابنك. ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار، وإنك تحذرني أن أشق عصا المسلمين! وأن أسعى في فساد ذات بينهم، ولم أكن لأفعل، وإنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا رجل منهم

قلت:

لم يهضم المسلمون هذا الانقلاب على **الشرعية الشورية**، ولا قبلوا به ولا بتبعاته سواء مُخيرين أو مُجبرين مكرهين، وظل غُصة في حلوقهم لا يستطعون ابتلاعها ولا استساغة تبعاتها.

ولمّا حصدت سيوف طغاة ولاة بني أمية وقوادهم العسكريين المتعجرفين من شاكلة:

1) **زياد بن أبي سفيان** (ت: 53 هـ)،
2) و**مسلم بن عقبة المُرّي** (ت: 64 هـ)
3) و**الحجاج بن يوسف الثقفي** (ت: 95 هـ) وغيرهم،

ما حصدت من رؤوس أتقياء المسلمين وخيارهم ونبلائهم الورعين، ولم تأت الثورات المتتالية بنتائج أفضل، قَبِلَ بعض علماء المسلمين، عن مَضَض ومكرهين، بهذا الخلف الصارخ ما بين **النظرية والتطبيق**، حقناً لدماء المسلمين ومُخَرِّجين له تخريج العمل **بأقل الضررين**!. إلا أنهم ظلوا مع ذلك، وعلى امتداد تاريخهم المثقل بالفشل والنكبات والفواجع، متطلعين بأمل إلى إقامة دولة الشورى: "**المشروع - الحلم**"، يوماً ما في مكان ما فوق أرض الله الواسعة!.

وظل مشروع إقامة "**دولة الشورى**" هذه هاجساً مستمراً في الوجدان ومختلجاً بالروح، يحذو المسلمين أمل كبير في رفع الضررين معاً، ليسود المسلمين، يوما ما، في بقعة ما، ذلك الأنموذج المجسد للعدل القرآني المطلق على الأرض، كما عايشه حكم الخلفاء.

3.2. بروز الحاجة إلى علم الكلام

لقد كان الدافع الأول إلى قيام "علم الكلام" كعلم جدل متخصص في الدفاع عن أطروحات الإسلام، سواء منظوراً إليه من الداخل فيما يخص الأحزاب السياسية المحسوبة على الإســـلام، أو من الخارج فيما يخص الملل والنحل العالمية، مطلباً عقدياً بالأساس، قبل أن ينزاح ليـــشمل السياسة أيضاً.

ولقد تميز "علم الكلام"، ومنذ البداية، بكونه جدلا مفتوحاً مع الذات ومـــع الآخـــر المخالف، متأثراً بجدل القرآن نفسه، بغية إقامة نظام مجتمعي عالمي قوامه العدل في كل مناحي حياة البشر، بحيث يكون ل الفضيلة دورها المحوري والأولوية في إنتاج الأفراد والمجتمع.

لكن، ما أن شرع الأمويون يسوغون لحكمهم ولعسف ولاتهم، بنصوص خـــارج سياقاها، مستنجدين ب: الجبر المحض والقدر المقدور الذي لا راد له، كما فعل معاوية بن أبي سفيان في رده على أم المؤمنين عائشة وعبد الله بن عمر بن عمر بن الخطاب في رفضهم لبيعة يزيد بقوله[4]:

{أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخِيَّرة من أمرهم!!!!!!!!!!!!!!!}

أو كما خطب يزيد بن أبيه أهل البصرة على ذات النغمة بقوله[5]:

{أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة، عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا!، ولكم علينا العدل فيما وُلينا..}

---

[4] أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـــ – 276 هـــ) في: "الإمامة والسياسة"(1: 196) ط. 1356 هـــ/ 1937 م مصطفى البابي الحلبي، مصر.

[5] محمد بن جرير الطبري: "تاريخ الرسل والملوك" (5: 334) ، ط.1383 هـــ/1963 م بعناية محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف.

حتى أدرك أمناء الأمة: العلماء، أن محذوراً خطيراً انزلق إليه الحكم ولا رادع له سوى بالثبات على الدرب الأول.

ولم يكن مثل هذا الموضوع، عندما بدأ يخوض فيه علماء الكلام، ترفاً فكرياً، ولا رياضة ذهنية في المثاليات غير القابلة للتحقق أو للتطبيق على أرض الواقع، وإنما نظر إليه متقدموهم على أنه بمثابة أسّ كل تأسيس، وقاعدة كل القواعد لقيام أي مجتمع.

لذلك نظروا إلى أنفسهم يومها نظرة حراس النظرية وترسها الواقي.

قلت:

ولم يحالف بعض المسلمين المتقدمين الصواب، عندما سمّوا هذا العلم على غير موضوعه: "علم الكلام". ولا أصاب المتأخرون منهم، يوم أن اختزلوه إلى أقل محدداته، كما فعل عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته يوم أن ابتسر موضوعه ومضمونه وحافظ فقط على شذرة وجذوة باهتة من شكله بأن جعل منه، بحسب ما آل إليه أمره في زمانه[6]:

علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات من مذاهب السلف وأهل السنة

فهذا ولا شك، أثر باهت لعلم شامخ.

بل لو جزمنا أن السياسة كانت منطلقه وكونت لُبّه ولحمه وعظمه وسُداه ما أخطأنا الوصف ولا الهدف ولا وقعنا في محذور تزييف التاريخ.

---

[6] ابن خلدون: "المقدمة" ص. 507، طبعة دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

ف السياسة كانت حاضرة هنا في الداخل، كما كانت دائماً حاضرة في الخارج أي في المحيط الأممي.

ذلك أن:

أ) إرهاصات الداخل، ولدت الأحزاب السياسية في الإسلام من: خوارج، وشيعة، ومرجئة، ومعتزلة، وسنة، وأشاعرة[7]،

ب) وإرهاصات الخارج المتخارج، جمعت على صعيد واحد كل المخالفين ضمن نهر الإسلام الكبير من يهود ونصارى، أو المتربصين بالإسلام عامة من زنادقة وشعوبيين وملاحدة.

إنتهى وتليه

الحلقة الخامسة

أثر المتكلمين في علم الأصول

[7] أنظر كتابنا: "المهدي اللامنتظر لا عند اليهود ولا عند الشيعة ولا عند السنة ولا عند البرتغال".